بحث عام | قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية | 20 فبراير 2018

العقل والخلود في الفلسفة الإسلامية
(إخوان الصفا أنموذجًا)

محمود كيشانه
باحث مصري

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018
All rights reserved © 2018

الملخص:

تعتبر قضية الخلود والخلود الأخروي أو اليوم الآخر من القضايا الرئيسة التي لا يقوم دين سماوي إلا عليها، بل تمثل قضية الخلود أحد الأركان الرئيسة التي يكتمل بها الإيمان في الأديان السماوية، وقد أكدت الأديان على أن هناك يومًا تجازى فيه النفس على ما عملت في الدنيا، إن خيرًا فخير، وإن شرّا فشر، فالخير الدنيوي جزاؤه الثواب؛ أي الجنة والنعيم الأبدي المقيم، والشر الدنيوي جزاؤه العقاب أي النار، وقد تلقف إخوان الصفا قضية الخلود، فلم ينكروه كحقيقة أكدت عليها الأديان السماوية جميعها، فأقروا بالحساب، ثوابًا أو عقابًا وباليوم الآخر، إلا أنهم نظروا إلى الخلود نظرة عقلية تأويلية صرفة، فكانت لهم أراؤهم الخاصة في طبيعة الخلود، هل بالروح فقط؟ أم بالروح والجسد؟ أم بالروح وجسد آخر غير الذي كانت عليه الروح في الدنيا؟ وسوف يتبين من الدراسة أن هناك العديد من النصوص المنسوبة إلى إخوان الصفا في رسائلهم الموسومة برسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء التي تذهب المذاهب الثلاثة، كما تطرح الدراسة موقف إخوان الصفا من طبيعة الخلود الأخروي هل هو عندهم فردي، وهو الاتجاه الذي تثبته الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؟ أم أن طبيعة الخلود عندهم جماعي عقلي؟ والدراسة كشفت عن أن موقف إخوان الصفا كان يتبنى القول بالخلود الجماعي العقلي، الذي نجد له أثرًا عن أغلب الفلاسفة المسلمين باستثناء الكندي. وعليه، فإن هذه الدراسة تقوم على ثلاثة محاور رئيسة:

الأول ـ الخلود عند إخوان الصفا

الثاني ـ الخلود الروحاني

الثالث ـ الخلود الجماعي العقلي

الخلود عند إخوان الصفا:

يمكن القول بدءًا إنه قد كثرت الآيات القرآنية التي تتحدث عن الجنة والنار على مدار آيات القرآن الكريم، إذ ما من آية تتحدث عن النار إلا أردفتها آية تتحدث عن الجنة، والعكس بالعكس، وهناك العديد من الآيات القرآنية تحكي أحوال النعيم الذي يفوز به من تخلق بالخلق الطيب وأدّى العبادات، كذلك هناك العديد من الآيات القرآنية التي تحكي عن ألوان الشقاء التي تصيب من تخلق بالخلق الرديء ولم يؤد العبادة، وسعى وتجبر في الأرض. من ذلك مثلاً: قول الله تعالى: «وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون»[1]. وقوله سبحانه أيضًا: «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىً وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ»[2]. وقوله تعالى: «إن شجرت الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم إن هذا ما كنتم به تمترون"[3]. وقوله أيضًا: «إِنَّ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى ٱلأَرَآئِكِ مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَّا يَدَّعُون»[4]. إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي تؤكد على اليوم الآخر، باعتباره يوم حق ترد فيه المظالم إلى أهلها ويجازي الخلق على ما فعلوا في الدنيا من خير أو شر.

فإذا نظرنا إلى الخلود عند إخوان الصفا نجده عندهم ذا وجهين: فردي وجماعي، والخلود عندهم مثبت بوجهين: النقل والعقل، فيذهبون إلى أن الشرع أثبته وأكده بالطرق العقلية والأدلة المنطقية التي تشير إلى وجوب محاسبة العاصي على عصيانه ومحاسبة المطيع على طاعته، مما يدل على اعتقاد إخوان الصفا في الخلود الجماعي؛ لأنهم يعتقدون أنه كلما مضت طائفة وانقرضت وبليت أجسادها، ألحقت نفوسها بنفوس من مضى قبلها من رؤسائها ومعلميها وأستاذيهم من القرون الماضية، ثم خلفتها أخرى على سنَنِها ومنهاجها.[5] بما يعني أن النفوس الشقية تتلاقى في الآخرة مع معلميها ورؤسائها فيما يشبه الخلود الجماعي، في حين تتلاقى وتتآلف النفوس السعيدة في الآخرة في جزاء جماعي لا نهاية له.

---

1 البقرة: آية 25

2 محمد: آية 15

3 الدخان: آية 45

4 يس / آية 55

5 انظر رسائل إخوان الصفا، تحقيق بطرس البستاني، ط دار صادر، بيروت، بدون، ج4 ص 87

ولئن كان الإسلام قد خص الخلود بمجموعة من السمات ككونه يحمل الثواب للمطيعين والعقاب للعاصين، وكون مجاله الدنيا والآخرة، وكونه له صورتان مادية ومعنوية [6]. فإن إخوان الصفا أرادوا أن يتخذوا الاتجاه نفسه الذي يجعل الخلود يحمل في طياته الثواب والعقاب، ويمتد أثره في الدنيا والآخرة، ويحمل في طياته صورتين: مادية ملموسة، ومعنوية تحس فيها النفس بارتقائها إلى عالم الأفلاك، عالم المثل الذي وردت منه.

ويجب التركيز على أن الفعل الذي يترتب عليه الخلود عند إخوان الصفا هو الفعل المكتسب المعتاد؛ إذ هو مناط الخلود ثوابًا كان أم عقابًا عند إخوان الصفا. أما الأفعال المركوزة في الجبلة، فلا يقع عليها جزاء؛ لأن الإنسان جبل عليها عندهم، بيد أن الخلود عندهم لا يكون على الأفعال الأخلاقية فحسب، بل إنهم حددوا أربعة أشياء يترتب عليها الخلود في الآخرة، وهي:

أ ـ الأخلاق المكتسبة المعتادة

ب ـ العلوم التعليمية

ج ـ الآراء المعتقدة المكتسبة

د ـ الأعمال المكتسبة بالاختيار والإرادة

والواضح أن الأمور الأربعة يتدخل فيها الاكتساب؛ إذ إن الإنسان فيها يستخدم إرادته واختياره وعقله وفكره ورويته، فيكون الفعل الخلقي صادرًا من مكانه الطبيعي وعلى أساس أخلاقي، والواضح أن الأشياء الأربعة لا يتدخل فيها الطبع؛ إذ هي اكتساب خالص للإنسان.

فإخوان الصفا يقرون بأن القيامة لا محالة كائنة، وهي النشأة الأخرى، وأن الخلق كلهم يبعثون، ويحشرون، ويحاسبون، ويثابون بما عملوا من خير ومعروف، ويجازون بما علموا من شر ومنكر، وذلك بدليلين: **الأول**، نقلي؛ وذلك في قول الله تعالى: «والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله"[7]، وقال: (واليوم الآخر)، فهذا هو الإيمان الظاهر الذي دعت الأنبياء، عليهم السلام، الأمم المنكرة لهذه الأشياء إلى الإقرار به، وهو يؤخذ تلقيناً، كما يتلقن الصغار من الكبار، والجهال من العلماء، الإقرار به".[8] و**الثاني**، عقلي اعتبروا فيه أحوال هؤلاء الأخيار الذين تقدم ذكرهم، والذين قد أفنوا أعمارهم كلها في أعمال الخير، ثم ماتوا، ولم يحصل لهم عوض على ما عملوه قبل الموت، فتعلم العقول وتقضي بالحق أن ذلك لا يضيع منه عند الله شيء، فيصبح هذا الاعتبار أن بعد الممات ـ الذي هو مفارقة النفس الجسد ـ حالة أخرى يجازى

6 د. عبد المقصود عبد الغني، النظرية الخلقية في الإسلام، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1991م. ص 117، 118

7 البقرة، 286

8 رسائل إخوان الصفا، ج 4، 46

فيها الأخيار، وهي التي تسمى الدار الآخرة. وهكذا اعتبروا حال الأشرار الذين سعوا في الأرض بالفساد، ثم ماتوا ولم يعاقبوا على ما فعلوا، فتعلم العقول وتقضي أن هؤلاء لم يفوزوا، وأن حالهم بعد الممات ليس كحال أولئك الأخيار[9]، وذلك قوله تعالى «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون"[10]. وهذا الدليل العقلي هو ما سبق أن قال به أفلاطون في معرض حديثه عن خلود النفس بعد الموت لتحاسب على ما عملت في الدنيا[11]. وهذا يعني أن إخوان الصفا هنا قد جمعوا بين آراء الأنبياء وآراء الفلاسفة في البرهنة على خلود النفس، فكان توفيقًا بين الشريعة والفلسفة، ولكن على طريقة إخوان الصفا؛ لأن بعض الباحثين يعد ما ذهب إليه إخوان الصفا توفيقًا[12]، إلا أن ما صنعه إخوان الصفا لا يعد هنا توفيقًا بقدر ما هو تغليب رأيهم العقلي الفلسفي على الرأي الديني.

وجزاء المحسنين يتفاضل في الآخرة عند إخوان الصفا بحسب درجاتهم في المعارف واجتهادهم في الأعمال الصالحة، والناس متفاوتو الدرجات في أعمالهم، كلٌّ على شاكلته، ويميز إخوان الصفا بين موضوع اجتهاد الخاصة، وموضوع اجتهاد العامة والجهال، فأجود أحوال العامة والجهال كَثرُة الصوم والصدقة والصلاة والقراءة والتسبيح، وما شاكل ذلك من العبادات المفروضة والمسنونة في الشرائع، المُشغِلة لهم عن فضول وبطالة، وما لا ينبغي لهم؛ كي لا يقعوا في الآفات. وأفضل أعمال الخواص عندهم التفكّر والاعتبار بتصاريف أمور المحسوسات والمعقولات، وبخاصة ما يتعلق بالدين[13]. ومن ثم كان الخلود المترتب على ذلك مختلف في درجته، ولا شك أنهم هنا يعلون من درجة وجزاء الخاصة على درجة وجزاء العامة، على اعتبار أنهم آمنوا على بصيرة ونور، لا عن طريق التقليد والرواية.

أولاً - الخلود الروحاني:

غير أن مسألة الخلود هل بالبدن والروح أم بالروح فقط من المواطن ذات الإشكالية عند إخوان الصفا، فتارة يقول إخوان الصفا بأن الخلود واقع على البدن والنفس، وتارة يقولون بأن الخلود خاص بالنفس فقط، ومن ثم فلست مع أحد الباحثين ممن ظن أن تصور إخوان الصفا لفكرة الخلود والحساب يتفق مع الشريعة الإسلامية[14]؛ لأن الشريعة الإسلامية كانت واضحة في هذه القضية، حيث أكدت في آيات عديدة وأحاديث

9 انظر السابق، ج4 ص 152

10 سورة الجاثية: 21

11 انظر أفلاطون، محاورة فيدون، تحقيق د. عزت قرني، ط دار قباء، الثالثة، 2001م. ص ص 282، 283

12 انظر د. وجيه أحمد عبد الله، الوجود عند إخوان الصفا، ط دار المعرفة الجامعية، 1989م. ص 249

13 انظر رسائل إخوان الصفا، ج4 ص 74

14 انظر د. وجيه أحمد عبد الله، الوجود عند إخوان الصفا، ط دار المعرفة الجامعية، 1989م، ص 233، 234

نبوية شريفة أن البعث بالنفس والجسد معًا، فهل تردد إخوان الصفا في أمر هذه القضية، وتناقض موقفهم فيها وتأرجحهم بين ثلاثة آراء يعني الاتفاق بينهم وبين الشريعة فيها؟!

ومن النصوص التي تؤيد الرأي الأول قول إخوان الصفا: "فأما النفس، يعني الروح، فهي جوهرة سماوية، نورانية، حية، علاّمة فعالة بالطبع، حساسة دراكة، لا تموت، ولا تفنى، بل تبقى مؤبدة؛ إما ملتذّة وإما متألمة. فأنفس المؤمنين، من أولياء الله وعباده الصالحين، يعرج بها بعد الموت إلى ملكوت السموات، وُفسحة الأفلاك، وتخلّى هناك، فهي تسبح في فضاءٍ من الرّوح، وُفسحةٍ من النور، وروحٍ وراحة إلى يوم القيامة، القيامة الكبرى. فإذا انتشرت أجسادها، ردت إليها، لتحاسب وتجازى بالإحسان إحساناً، والسيئات غفراناً. وأما أنفس الكفار والُفساق والأشرار، فتبقى في عماها وجهالاتها، معذّبةً متألمة، مغتمةً حزينة، خائفةً وجلةً، إلى يوم القيامة، ثم ترد إلى أجسادها التي خرجت منها، لتحاسب وتجازى بما عملت من سوء"[15]. وقولهم: "واعلم يا أخي أن بعث النفوس من القبور الدارسات، وقيامها من التراب، إنما يكون ذلك إذا ردت إليها تلك النفوس والأرواح التي كانت متعلقةً بعا وقتاً من الزمان، فيما سلف من الدهر، فتنتعش تلك الأجساد، وتحيا تلك الأبدان، وتتحرك وتحس بعدما كانت جموداً، ثم تحشر وتحاسب وتجازى، لأن الغرض من البعث هو المجازاة والُمكافأة"[16]. وهناك نص آخر يقول: "فكذلك تكون النشأة الثانية صورة بين الجسماني والروحاني، فحدّها الجسماني ما يكون في ذلك الوقت من الأمر للنفس بموجب معرفة العقل من الأمر والنهي، وكونها بحد الروحاني فهو ما يتجلى فيها من صورة العقل والنفس بمجردها"[17]. وهذا يبين أن الخلود والحساب عند إخوان الصفا بالروح والجسد، تستوي في ذلك أنفس العصاة وأنفس المؤمنين.

غير أن إخوان الصفا يعودون فيتردّدون في أمر الجسد هل الجسد الذي يقع عليه الخلود هو بعينه الذي كان في الدنيا، أم جسد آخر يقوم مقامه؟ وهنا ينتهي رأيهم إلى جواز الأمرين، وذلك عندما يقولون: "وأما من كان فوق هذه الطوائف في العلوم والمعارف، فهو يرى ويعتقد بأن مع هذه الأجساد جواهر أخر أشرف منها وأفضل، وليست بأجسام تسمى أرواحاً أو نفوساً. فهو لا يتصور أمر البعث، ولا يتحقق أمر القيامة إلاّ برد تلك النفوس والأوراح إلى تلك الأجساد بعينها، أو أجساد آخر تقوم مقامها، ثم يحشرون ويحاسبون ويجازون بما عملوا من خير أو شر. وهذا الرأي أجود وأقرب إلى الحق، وفي اعتقادهم له صلاح لهم ولغيرهم، كما تقدم من قبل."[18] ويقولون في موضع آخر: "فأما النفس، فهي جوهر سماوي، نورانية حية علامة فعالة حساسة دراكة، لا تموت بل تبقى مؤبدة، إما ملتذة وإما متألمة. فأنفس المؤمنين من أولياء الله

15 رسائل إخوان الصفا، ج3 ص 86

16 السابق، ج3 ص 86

17 الرسالة الجامعة تاج رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، تأليف الإمام المستور أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، تحقيق د. مصطفى غالب، ط دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981 م، ص 463، 464

18 رسائل إخوان الصفا، ج3 ص 88، 89

وعباده الصالحين يعرج بها بعد الموت إلى فسحة الأفلاك في روح وراحة إلى يوم القيامة. فإذا نشرت أجسادها ردت إليها لتحاسب وتجازى بها بالإحسان إحساناً بالسيئات غفراناً. وأما أنفس الكفار والفساق والفجار والأشرار فتبقى في عمائها وجهالتها معذّبة متألمة حزينة خائفة إلى يوم القيامة، ثم ترد إلى أجسادها التي أخرجت منها لتحاسب وتجازى بما عملت."[19]

ثم يخالف إخوان الصفا هذين الرأيين، فيأتون في موضع آخر برأي ثالث يرون فيه الخلود للنفس فقط، ويرفضون فيه أن يكون الخلود بالجسد، وذلك عندما يقولون: "أترى أنهما أرادا اللحوق بالصالحين بجسديهما أو نفسيهما؟ وهل ألحق جسداهما إلا بتراب الأرض التي منها خلقا، وإنما أرادا نفسيهما الزكيتين الشريفتين الروحانيتين والسماويتين النورانيتين، لا جسديهما المؤلفين من اللحم والدم والعظم والعروق والعصب، وما شاكلها من الأخلاط الأربعة."[20] وقولهم: "فيا ليت شعري إلى من يتوجه هذا الخطاب؟! أإلى الأنفس الجزئية بمجردها؟ أم إلى الأجسام البالية التي قد صارت ترابًا؟ إن الله سبحانه وتعالى خاطب أولي الألباب."[21] ومن أقوى الأدلة على هذا الرأي قولهم: "فعند ذلك يكون الإنسان بنفسه الشريفة الروحانية اللطيفة ملكًا مستغنيًا عن الحيوان الصامت - يقصدون بذلك الجسم - وغير محتاج إليه، وبالبرهان إذا استغنى الإنسان عن الآلة التي كان محتاجًا إليها في وقت من الأوقات لا يبالي بفقدها، ولا يتألم لزوالها وعدمها، إذًا فلا بقاء للحيوان - أي الجسم - يوم القيامة، ولا وجود له بالنوع الذي عليه الآن، وأنه يرقى تدريجيًا حتى يلحق بالصورة الإنسانية."[22]

ويؤكد إخوان الصفا على هذا الرأي في موضوع آخر قائلين: "فلعلك أن تنتبه نفسك من نوم الغفلة ورقدة الجهالة، وتحيا بروح العلوم، وتعيش عيش السعداء، وتوفق للصعود إلى ملكوت السماء؛ لتنظر إلى الملأ الأعلى، وتكون هناك بنفسك الزكية الطاهرة، النقية الشفافة، مسروراً فرحاً، منعماً ملتذاً أبداً، لا بجسدك الثقيل المظلم المستحيل الفاسد، وفقك الله، أيها الأخ للصواب وهداك إلى الرشد وجميع إخواننا حيث كانوا في البلاد"[23]. وهناك نص آخر يتحدثون فيه عن أن الجنة دار الأرواح، هذا النص هو: "هي الجنة دار السلام، ومعد الأرواح، ومسكن نفوس الأخيار، ومستقر الأبرار، فإن أنت دمت على ما أنت عليه إلى الموت، فسيكون مصيرك إلى هناك، بعد مفارقتها جسدها، فتجد لذة العيش، وسرور النعيم صافياً، بلا تنغيص ما بقي من الدهر."[24] ويقولون في نص آخر: "وأن الأعمال والأفعال التي تكتسبها النفوس في هذا العالم، إنما هي

19 السابق، ج4 ص 260

20 السابق، ج4 ص 118

21 جامعة الجامعة، تحقيق د. عارف تامر، ط منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون. ص 71

22 جامعة الجامعة، تحقيق د. عارف تامر، ص 171

23 رسائل إخوان الصفا، ج4 ص 141

24 السابق، ج4 ص 161

أمكنة ومساكن لها غرف من فوقها، غرف في جنات النعيم والملك القديم، في عالم الأفلاك ومحل السموات، وهي مساكن تسكن إليها نفوس العارفين، وتأنس بها أرواح المؤمنين، مبنية بالحكمة الإلهية، فيها من كل الثمرات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، وكذلك الأفعال القبيحة والأخلاق السيئة هي أيضًا مساكن وحشة، وبيوت مظلمة، وجهالات متراكمة، وظلمات من فوقها ظلمات"[25]. ويقول إخوان الصفا أيضًا: "أن الجسم فاسد متغير مضمحل، وأن أجزاءه لا تجتمع بعد فرقتها، وأن النفس هي صفوة الطبائع."[26]

ويبدو لي أن هذا التردد عند إخوان الصفا، كان نتيجة منطقية للتردد بين اتجاهين في هذه المسألة؛ حيث حاول إخوان الصفا استلهام رأي من بين ثنايا ما جاء به أفلاطون وأرسطو، على الرغم مما هو معروف من اختلاف هذين الفيلسوفين في هذه القضية قضية خلود النفس. فإخوان الصفا - على رأي أحد الباحثين - تابعوا الرأي الأفلاطوني الذي يعتقد في إثبات خلود النفس على القول بأنها لا مادية بسيطة، ولئن كانت المادة وحدها هي التي يسري عليها قانون التحلل والفساد والكون، فإن النفس بالضرورة خالدة، وبذلك يعتقد إخوان الصفا بقاء النفس بعد مفارقتها البدن، ومتى كانت طيبة خيرة تصعد إلى ملكوت السماوات، وتدخل في زمرة الملائكة، وتحيا بروح القدس، فإذا كانت شريرة سيئة تهبط إلى قعر الأرض في أسفل سافلين؛ كي تنال جزاءها.[27] وهذا الرأي الذي انتهى إليه إخوان الصفا هو رأي فلسفي عقلي؛ لأنه ينبي أكثر من أي شيء آخر على برهان الأضداد المتلازمة عند سقراط، والذي استخدمه الأخير في البرهنة على خلود النفس، حيث يبني هذا البرهان على أساس تتابع الأضداد؛ أي أن الحياة يجب أن يعقبها موت، وهذا الموت يجب أن تعقبه حياة، [28] ومن هنا فرأي إخوان الصفا رأي عقلي أكثر منه عقديًا.

ولما كانت مسألة خلود النفس عند أرسطو من المسائل التي يدور حولها إشكالية؛ حيث تردد أرسطو بين القول بفناء النفس مع البدن، وبين القول ببقاء الجزء المتصل بالعقل الفعال، فإن تردد إخوان الصفا هنا - في رأيي - نابع من تردد أرسطو ذاته، وقد أفاض الدكتور أبو ريان في مسألة الخلود عند أرسطو مؤكدًا على حالة النقاش الدائر حول هذه المسألة منتهيًا إلى أن الذي يفسد عند أرسطو من قوى النفس القوى المتعلقة بغرائز البدن، أما العقل الفعال الذي يتعلق بالجزء الناطق من النفس فلا يفنى بفناء الجسد.[29] وهذا الرأي هو ما انتهى إليه إخوان الصفا في رأيي مع شيء من التعديل؛ لأن القول الذي ذهب إليه إخوان الصفا بأن من غرق في بحر الهيولي يجازي ببدنه، ومن نجا من بحر الهيولي خالد بنفسه، يعني - في التحليل الأخير - أنهم يبنون رأيهم على أساس من قوى النفس، فمن غرق في بحر الهيولى فقد غلب شهواته ونفسه الغضبية ونفسه

25 الرسالة الجامعة، ص 234

26 الرسالة الجامعة، ص 330

27 انظر د. وجيه أحمد، الوجود عند إخوان الصفا، ص 224

28 انظر د. محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ط دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، الإسكندرية، الثانية، 1967م، ج2، ص 194

29 انظر د. علي سامي النشار، ود. محمد علي أبو ريان، قراءات في الفلسفة، ط الدار القومية للطباعة والنشر، الأولى، 1967م، ص 284

الشهوانية، فحق له خلود مقيد، أما من نجا من بحر الهيولي، فقد غلب نفسه العاقلة على قوى النفس الأخرى، وهذه مرحلة الاتصال بالعقل الفعال عند إخوان الصفا، بما يعني أن إخوان الصفا يتفقون مع أرسطو في القول بأن نتيجة الاتصال بالعقل الفعال الخلود العقلي، وفي القول بأن النفس الغضبية والنفس الشهوانية تمنع من الوصول إلى هذا الخلود.

وإن كنا نعتقد أن إخوان الصفا يميلون إلى أن بعث الأجساد لا يكون إلا لمن غرق في بحر الهيولي، ولم يرتق بنفسه إلى عالم الأرواح، في حين أن بعث النفوس لا يكون إلا لمن نجا من بحر الهيولي، وارتقى إلى عالم الأرواح عالم الأفلاك وسعة السماوات، وقد يدلك على ذلك قولهم: "واعلم يا أخي أن من لا يوقِن ببعث الأجساد، ولا يتصوره، فليس من الحكمة أن يخاطَب ببعث النفوس؛ لأن بعث الأجساد يمكن تصوره، ويقرب فهمه وعلمه، فأما من لا يقِربه ولا يتصوره، فهو لبعث النفوس أنكر وبه أجهل، ومن تصورِه أبعد؛ لأن بعث النفوس هو من علم الخواص، ولا يتصوره إلاّ المرتاضون بالعلوم الإلهية والمعارف الربانية، وإنما وعد الكفار أن يبعث أجسادهم، ليوافقهم على تكذيبهم، ويجازيهم بسوء أفعالهم، ووعد الله المؤمنين أن يحيي نفوسهم، ويبعث أرواحهم، ليجازيهم على حسناتهم، ويثيبهم بأعمالهم. فلا تكن يا أخي ممن ينتظر بعث الأجساد، ويؤمل نشر الأبدان، فإن ذلك ظلم عظيم في حقك إذا كنت تتوهم ذلك. ولكن إذا استوى لك، فكن من الذين ينتظرون بعث النفوس، ويؤملون حياتها ووصولها إلى عالمها الروحاني ودار قرارها الحيواني، مخلَّداً في النعيم أبد الآبدين ودهر الداهرين، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك"[30]

وهذا الرأي فيه شبه كبير بما في الفلسفة الهندية خاصة عقيدة البراهمة؛ إذ غاية النفس في الفلسفة الهندية الوصول إلى الاتحاد ببرهمة بتجردها من الهيولى، فإذا تجردت النفس من الهيولى، وتطهرت من أدرانها نالت السعادة القصوى، وهي الاتحاد ببرهمة، أما إذ غرقت في بحر الهيولي فتلك النفوس الشريرة التي تعذب في ناراكا مئة سنة من سني برهمة، واليوم البرهمي يساوي ثمانية مليارات و650 مليون سنة شمسية.[31]

ومن ثم، فإن إخوان الصفا يؤكدون أن النفس المؤمنة العارفة يعرج بها بعد مفارقة البدن إلى ملكوت السماوات، فتظل تسبح حتى تقوم القيامة؛ حيث تعود أجسامها إليها؛ لتحاسب في حين أن النفس الشريرة بعد مفارقتها البدن تظل خائفة وجلة إلى يوم القيامة، حتى ترد إليها أجسادها؛ لتحاسب وتجازى.[32] وهذا التضارب دخل على إخوان الصفا نتيجة الاعتقاد بأن الجنة هي عالم الأفلاك وسعة السماوات، تصعد إليها النفوس البريئة المطهرة بالعلوم والمعارف، وتظل خالدة دائمة بها، وعلى ذلك فالبعث هنا نفسي. أما النفوس

30 رسائل إخوان الصفا، ج3 ص 85

31 انظر حنا أسعد فهمي، تاريخ الفلسفة، ط المطبعة اليوسفية، بدون، ص 10. وانظر تأملات في فلسفة الأخلاق، ص 96

32 انظر د. وجيه أحمد عبد الله، الوجود عند إخوان الصفا، ص 81

الشريرة، فإنها تهبط، وترد إلى أجسادها في عالم الكون والفساد؛ لتجازى على أعمالها؛ أي أن الخلود واقع على النفس والجسد معًا.[33]

لقد ظن إخوان الصفا أن أوصاف الجنة والنار التي وردت في الكتب السماوية رموز وإشارات إلى حقائق، ربما تكون مادية فقط أو مادية ولا مادية، وذلك بقدر فهم القوم؛ ليسهل تصورها عليهم، ولذا كانت النار - في نظرهم - هي عالم الكون والفساد، والجنة هي عالم الأفلاك.[34] بل إن إخوان الصفا يرون أن الاعتقاد بأن أجسام أهل الجنة لحمية وطبيعية لا يتوافق مع ما وصفهم الله تعالى فيها بأنهم لا يمسهم فيها نصب، ولا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى، وأنهم خالدون[35]، بل إنهم يعتقدون أن من الآراء الفاسدة الاعتقاد بأن الله الرؤوف الرحيم الغفور الودود البار يعذب الكفار والعصاة في خندق واحد من النار، وكلما صارت جلودهم فحمًا ورمادًا عادت فيها الرطوبة والدم؛ لتحرق مرة ثانية؛ وليذوقوا العذاب مستندين خطأ إلى أن هذا الرأي يسيء ظن صاحبه بربه، وأنه يعتقد فيه قلة الرحمة وشدة القساوة.[36] ولما كانت الجنة ليست دار أجساد لحمية، فإن الخلود في هذه الحالة لا يقع على الأجساد، ولكنه يقع على النفوس؛ لأن الخلود عندهم للنفس لا الجسد، وهم بذلك يخالفون جمهرة المسلمين[37]؛ فضلاً عن النصوص الصريحة الشرعية. وهناك من الباحثين المعاصرين من يدافع عن موقف إخوان الصفا هنا، ويستنتج أن هذه الجماعة العقلانية - في رأيه - ترى أن ما ورد في الكتب المنزلة، وما جاء على لسان الأنبياء والرسل قول صدق لا شك فيه البتة.[38] في حين هناك من استنكر ذلك الموقف بالاستناد إلى النصوص المقدسة ذاتها متسائلاً: كيف يستقيم هذا مع ما يذهب إليه إخوان الصفا من تردد في مسألة البعث بالجسد؟![39]

فالسعادة الأخروية تعني عندهم أن تبقى كل نفس إلى أبد الآبدين على أفضل حالاتها وأتم غاياتها، في حين أن السعادة الدنيوية هي أن يبقى كل موجود أطول ما يمكن على أفضل حالاته وأتم غاياته[40]. ويبدو تأثر إخوان الصفا هنا بالشرع في أن تصفية النفس وسيلة إلى بلوغ السعادة القصوى السعادة الأخروية، كما يبدو تأثرهم به في أن النفس لا يبقى لها من آثار الجسد أو الدنيا إلا العمل، ومن ثم فقد ذهبوا إلى أن النفس إذا فارقت البدن لا يبقى من آثاره معها إلا ما استفادت به من المعارف الربانية والأخلاق المرضية

33 انظر د. وجيه أحمد عبد الله، السابق، ص 82

34 انظر د. وجيه أحمد عبد الله، السابق، ص 86

35 انظر جامعة الجامعة، ص 203

36 انظر رسائل إخوان الصفا، ج4، ص 89

37 انظر د. وجيه أحمد عبد الله، الوجود عند إخوان الصفا، ص 87

38 انظر د. وجيه أحمد عبد الله، السابق، ص 90

39 يرى الدكتور سليمان دنيا أن مسألة البعث بالجسد فيها شك عند كل من ابن سينا والغزالي عند حديثهما عن السعادة الروحية، مما عده ارتباكًا في مسألة السعادة عندهما. انظر الحقيقة في نظر الغزالي ط دار المعارف، القاهرة، الثالثة، 1971م، ص 264، 358

40 انظر رسائل إخوان الصفا، ج1 ص 317

المربحة؛ حيث تبقى هذه الأشياء في النفس مصورة ذاتها إذا كانت معتادة لها صورة روحانية نيرة بهية، كلما لا حظت النفس ذاتها، ورأت تلك الصورة فرحت بها، وامتلأت سرورًا في ذاتها وفرحًا ولذة، وذلك - عندهم - ثوابها ونعيمها بما أسلفت في الأيام الخالية، في حين إذا كانت أعمالها على خلاف ذلك بقيت عمياء عن رؤية الحقائق، وتبقى هذه الأشياء مصورة في ذاتها صورة قبيحة سمجة، فكلما لا حظت ذاتها، ونظرت إلى جوهرها رأت ما يسوؤها، وتريد الفرار منه، وأنى لها الفرار من ذاتها؟[41]

ومن ثم فالغاية القصوى والسعادة العظمى هي السعادة الأخروية التي تجد فيها النفس جزاء ما صنعت من الأعمال والأفعال الأخلاقية، وجزاء ما عارضت وقاومت شهوات نفسها وملذاتها؛ حيث إن تلك المعارضة والمقاومة تمثل تصفية لها وإعادة لها إلى جوهرها الأول الذي جاءت منه. أما الشقاوة الكبرى، فهي التي تجدها النفس ذات الآراء الفاسدة والأعمال الطالحة والجهات المتراكمة التي لم تستطع الفكاك من أسر شهواتها وعبودية ملذاتها، فتكون في الآخرة من الأشقياء الخاسرين. ولئن كان إخوان الصفا قد تبعوا أرسطو في الجمع بين السعادة ومفهوم الكمال، فكان العمل الأخلاقي عندهم هو العمل الذي يرتقي بالنفس الإنسانية، ويصل بها إلى مرحلة الكمال. غير أن أرسطو لئن كان قد ربط السعادة بحياة الآلهة - على حد تعبير أحد الباحثين - ما دامت الآلهة هي وحدها العقول الصرفة التي تحيا حياة النظر العقلي المجرد، وبالتالي فقد بقيت السعادة حلمًا بعيد المنال[42]، فإن إخوان الصفا ربطوا السعادة بحياة النفس الكلية، مادامت النفس الكلية هي وحدها التي تحيا فيها النفوس الجزئية حياة التأمل العقلي والنعيم النفسي.

غير أن فكرة الغاية القصوى أو السعادة العظمى لا يعرف كنهها عند إخوان الصفا، فإخوان الصفا وإن كانوا يتحدثون عن نعيم الجنان، فليس من الضروري أن تكون الجنان التي تحدث عنها الشرع، وإن كنت أرى أنها عندهم جنان من نوع خاص يقوم نعيمها على التأمل العقلي، فتأمل النفس لذاتها وإدراكها لكنهها هو نعيمها والتذاذها.

ولقد كان موقف إخوان الصفا نتيجة طبيعية لما ذهبوا إليه من جمعهم بين الأنبياء والفلاسفة والحكماء في معين واحد فيما يتعلق بالغرض من نواميسهم؛ حيث يعتبرونهم جميعهم من واضعي النواميس الإلهية، أقول إنهم جمعوا بينهم في أن غرضهم جميعًا مداواة النفوس، وفي أنهم المنوط بهم نجاة النفوس الغريقة في بحر الهيولي، وإخراجها من عالم الكون والفساد، وإيصالها إلى الجنة عالم الأفلاك وسعة السماوات بتذكيرها ما نسيت من مبدئها ومعادها.[43] وفكرة التذكر أو برهان التذكر أحد الأدلة التي ارتكز عليها أفلاطون في

41 رسائل إخوان الصفا، ج2 ص 50

42 انظر د. مصطفى عبده، فلسفة الأخلاق، ط مكتبة مدبولي، القاهرة، الثانية، 1999 م ص 55

43 رسائل إخوان الصفا، ج2 ص 141، وانظر ص 454

التأكيد على خلود النفس، مما يعني أن إخوان الصفا هنا متأثرون بكل من أفلاطون في تذكر النفس لمبدئها، ومتأثرون بأفلوطين في أن غرق النفس في بحر الهيولى يمثل سجنًا لها.[44]

نعم، الأنبياء هم النموذج في الأخذ بيد البشرية إلى السعادة القصوى والخير الأسمى؛ ونعم، هم النموذج في تصفية النفوس والارتقاء بها إلى عالم الأرواح، فهل فلاسفة إخوان الصفا وحكماؤهم نموذج في ذلك؟ فهل بلوهر وبوداست وزاردشت ومزدك وغيرهم ممن تناولهم إخوان الصفا بالتقدير نموذج في ذلك؟ أم كانت آراؤهم ومعتقداتهم نموذجًا استرشد الناس به في تصفية نفوسهم الغريقة في بحر الهيولى؟

قد يكون هناك نفر من الفلاسفة والحكماء ممن اتفقت آراؤهم مع آراء الأنبياء، فهل يعني ذلك أن كل الفلاسفة والحكماء نموذج في ذلك؟ بالطبع لا، فالبراهمة ليسوا نموذجًا في ذلك ولا بلوهر ولا بوداست ولا زاردشت، أم هل يعني إخوان الصفا أنفسهم بأنهم نموذج في تصفية النفوس والأخذ بها إلى السعادة القصوى؟ نعم إن إخوان الصفا ظنوا أنهم من أصحاب الرسائل الناموسية، وأن رسائلهم هي المخلص من بحر الهيولى وأسر الطبيعة وعبودية اللذة، بما لها في ظنهم من مبادئ وأخلاق وقيم تربوية، إلا أن ما غفل عنه إخوان الصفا أنهم مزجوا مبادئهم وقيمهم بآراء شتى ومذاهب عديدة هي إلى التلفيق أقرب منها إلى أيّ شيء آخر، مما قد يقضي على فلسفتهم هنا من جذورها.

ولكن تبقى طبيعة النعيم الأخروي عند إخوان الصفا فيه الكثير من الغموض؛ لأنهم في الوقت الذي يذكرون الجنة فلا ينبغي أن تحمل الجنة على المعنى الشرعي؛ لأنهم يطلقون اللفظ ويقصدون بها معنى آخر، وإلا فما معنى أن يسمي إخوان الصفا جهنم عالم الكون والفساد؟ وما معنى أن يسموا الجنة عالم الأرواح؟ أليس من المتعارف عليه فلسفيًا أن عالم الحياة الدنيا هو عالم الكون والفساد؟ فكيف إذن يصفون جهنم بهذا الوصف؟ بما يعني أنهم يرمون إلى أن شقاء النفوس الأخروي يكون في عدم خلاص النفس من شهواتها الدنيوية، فترزح فيه إلى الأبد وهذا شقاؤها.

ويبدو لي أن عالم الأرواح عند إخوان هو عالم ما فوق الطبيعة، وهو العالم الذي تشتاق النفس إليه، فتصعد إليه بأفعالها الطيبة، وتنال فيه نعيمها وملذاتها، وهذا العالم الروحاني هو عالم فيثاغورث الذي تأثر به إخوان الصفا تأثرًا كبيرًا، ففيثاغورث يرى أن فوق عالم الطبيعة عالمًا روحانيًا نورانيًا، لا يدرك العقل حسنه وبهاءه، وأن الأنفس الذكية تشتاق إليه، فإذا قوم الإنسان من نفسه بالابتعاد عن العجب والتجبر والحسد والرياء، والصفات الشهوانية، صار مؤهلاً للالتحاق بالعالم الروحاني، والاطلاع على ما يشاء من جواهره من الحكمة الإلهية، وأن لذتها ونعيمها تأتيه إرسالاً كالألحان الموسيقية الآتية إلى حاسة السمع.[45]

---

44 انظر أفلوطين، التساعية الرابعة، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م. ص 70

45 انظر **منصور على رجب (د.)**، تأملات في فلسفة الأخلاق، ط مطبعة مخيمر، القاهرة، 1953م، ص 41

ثانيًا - الخلود الجماعي العقلي:

ولكن ما حقيقة الخلود عند إخوان؟ يمكن القول إن إخوان الصفا يتشابه موقفهم هنا إلى حد كبير مع موقف الفارابي فيما انتهت إليه آراؤه من النعيم العقلي والنعيم الجماعي؛ لأنهم يرون أن النفوس الشريرة التي تفارق أجسادها على هذه الأوصاف تحن إلى أبناء جنسها من النفوس المتجسدة الشريرة التي على سننها وسيرتها في شهواتها، كما يحن الأعمى البصير إلى أبناء جنسه إذا سمع أصواتهم، وتستروح هذه النفوس أيضاً إلى وسوسة أبناء جنسها وحثالتهم على فعل تلك العادات التي كانت فيها مما تقدم من الشرور وطلب الشهوات؛ لما تجد من ألم شهواتها المركوزة في ذاتها من سوء عاداتها القديمة فيما يستروح، كمن قد عدمت شهوته للطعام والشراب، وضعفت حرارة معدته، فهو يشتهي ما لا يستمرئ، وبه شبق وآلته لا تؤاتيها، فهو عند ذلك يستروح بالنظر إلى الآكلين والشاربين والفاعلين من أجل ما يجد في نفسه من الشهوات المركوزة، والعادات الجارية، مؤولين في ذلك بعض الآيات التي تخدم فكرتهم، كقوله تعالى: "... شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً[46]". فشياطين الجن عندهم هي النفوس المفارقة الشريرة التي قد استجنت عن إدراك الحواس، وشياطين الإنس هي النفوس المتجسدة المستأنسة بالأجساد. كما يرون أن هذه النفوس المتجسدة الشريرة إخوان لتلك النفوس المفارقة، فإذا فارقت أجسادها بعد الموت لحقت بتلك النفوس المتقدمة التي قد خلت في القرون الماضية، وحصلت في العذاب معها.[47] ويرى الدكتور عمر الدسوقي - مؤكدًا على هذه الفكرة - أن الآخرة عند إخوان الصفا هي حالة النفس بعد مفارقتها الجسد، فإن كانت صالحة لحقت بالنفوس الصالحة وصارت مع الملائكة، أما إن كانت فاسدة، ولم تستكمل فضائلها، فإنها بعد مفارقة البدن تهوى في عالم الهيولى دون فلك القمر؛ لتصير شيطانًا مع الشياطين.[48]

ومما يدل على أن إخوان الصفا يميلون إلى الخلود العقلي أنهم يرون أن أهل العذاب إذا حلّ بهم الموت، أخذت الملائكة - وهي عندهم روحانيات زحل والمشترى - تسومهم العذاب في سلسلة متعددة منه، فإذا بلغت الأنفس العاصية آخر أذرع السلسلة المعدة لعذابها غاصت بها ملائكة العذاب، وزجرها مالك الغضبان، فاتحدت بها لطائف العذاب، وصارت ظلمة بمجردها، تتراءى لها في ذاتها، كلما لحظت نفسها أشخاص السلسلة التي سلكت فيها.[49] وهذا - في التحليل الأخير - جزاء عقلي خالص؛ ذلك لأن موقف إخوان الصفا هنا يعني أن النفس العاصية تتراءى لها في ذاتها ظلمة ما اقترفته من أعمال، وما يترتب عليها من جزاء، ويزداد عندها هذا الألم النفسي العقلي كلما تراءت لها صور العذاب الذي تراءى لها، كما أن

46 سورة الأنعام: 112

47 انظر رسائل إخوان الصفا، ج4 ص 172

48 انظر إخوان الصفا، ط عيسى البابي الحلبي، القاهرة، بدون، ص 232

49 انظر الرسالة الجامعة، ص 317

تخصيص إخوان الصفا النفس هنا بالحديث يدل دلالة قاطعة على ذلك الخلود العقلي؛ لأنهم هنا لا يتحدثون عن الجسد، وإنما يتحدثون عن النفس، وما تلاقيه من صور العذاب والألم النفسي والعقلي.

والأمر نفسه ينطبق على أهل النعيم، فإذا حل الموت بساحة النفس المطيعة تلقتها الملائكة - وهي روحانيات الزهرة والمشترى - بالنعيم، فتبقى النفس علامة دراكة مع الملائكة إلى ما شاء الله، تتصل بالمؤمنين في الدنيا، وتتراءى لهم في مناماتهم بالبشارة والطمأنينة.[50] وهذه كلها صورة من صور النعيم العقلي واللذة النفسية التي يقوم الخلود الأخروي على شطر كبير منها عند إخوان الصفا. ولم يكتف إخوان الصفا بالقول بالخلود الأخروي، بل يرون أن هناك جزاءً سابقًا عليه في الدنيا؛ إذ إن من قبل – عندهم - وصايا المنذرين، واتبع المرشدين، وأطاع ربه، وعرفه حق المعرفة، نال السعادتين، وحصلت له المنزلتان: منزلة الإنسانية الكاملة، والفلسفة الفاضلة في الدنيا، وصورة الملائكة وجوار الرحمن في دار الجنان، دار الحيوان في الآخرة.[51]

غير أن إخوان الصفا قد يؤدّي رأيهم في مسألة خلود النفس إلى الاعتقاد بأنهم يروجون لفكرة تناسخ الأرواح المرفوضة إسلاميًا؛ ذلك أن إخوان الصفا يعتقدون أن النفس الناطقة، إذا فارقت ظلمة الطبيعة الجسمانية والهيولى لحقت بأنوارها، وعادت إلى إشراقها بشوقها إلى ذاتها، وتذكارها مكان لذاتها الروحانية وفوائدها النورانية؛ إذ كانت بدت من جوهر الكلمة الإلهية، في حين يعتقدون أنه متى غفلت عن هذا بقيت في عالم الكون والفساد، والهبوط والاتحاد في عالم الأجسام، وتبقى حيث أرادت واختارت، كمن اختار طول السجن على النجاة منه.[52] بما يعني - في التحليل الأخير - أن النفس تبقى معذبة في الدنيا في عالم الأجسام الذي اختارته. وهذا هو مذهب تناسخ الأرواح الذي يقوم على أساس انتقال النفس من جسد إلى آخر، وهكذا دواليك إلى يوم القيامة عقابًا لها على ما اقترفت من آثام.

وقضية الخلود عند إخوان الصفا ليس مصدرها الإسلام فقط، بل يدخل فيها معتقدات الديانات السماوية الأخرى، كالمسيحية واليهودية، بل إن من مصادرها عندهم الديانات الوضعية، بل تمتد مصادر الخلود عندهم إلى الفلاسفة والحكماء وأصحاب الرسائل الناموسية على ظنهم، ومن ثم فقد خلط إخوان الصفا الأخلاق بما يعد غير إسلامي البتة، ومن ثم وجدناهم يتحدثون عن أصحاب الديانات الوضعية كحديثهم عن الأنبياء والرسل؛ لأنهم أخذوا على أنفسهم ألا يعادوا علمًا من العلوم، أو يهجروا كتابًا من الكتب، ولا يتعصبون على مذهب من المذاهب؛ ظنًا منهم أن مذهبهم يستغرق المذاهب كلها والعلوم جميعها[53]، ومن ثم فقد كان

50 انظر السابق، ص 319

51 انظر السابق، ص 256

52 انظر جامعة الجامعة، تحقيق د. تامر عارف، ط منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون. ص ص 213، 214

53 انظر بطرس البستاني، مقدمة تحقيق رسائل إخوان الصفا، ص 8

هذا المبدأ هو المنطلق الذي انطلقوا منه لتأسيس اتجاه تجميعي بحت، يأخذ من آراء الفلاسفة والحكماء وأصحاب الديانات الوضعية مبادئهم وأصولهم الأخلاقية جنبًا إلى جنب مع الدين الإسلامي، بل إنهم أفسحوا الطريق لمن ترقى في المعارف الإلهية أن يصنع ناموسًا إلهيًا - على ظنهم - يمثل مبادئ أخلاقية يهتدي بها الإنسان؛ لأنهم يعتقدون أن أفضل صناعة يمكن أن يصل إليها الإنسان صناعة النواميس الإلهية، وربما هذا يفسر لنا نظرتهم التي فيها الكثير من التقدير والاحترام للبراهمة والبوهيميين وزاردشت وبوداست وبلوهر وغيرهم ممن ظن إخوان الصفا خطأ أنهم أصحاب ناموس إلهي أتى بمبادئ أخلاقية، وجب على البشرية عدم الخروج عليها، بل إننا وجدنا ما يشبه أن يكون دعوة صريحة إلى أن السعادة الأخروية مترتبة على فهم أسرار الناموس الوضعي؛ لأنه يساعد عندهم على التنبيه من نوم الغفلية والاستيقاظ من رقدة الجهالة، فيعيش المرء عيش السعداء، ويجاور الملائكة المقربين مخلدًا أبد الدهر.

وهذا ما ظهر في فلسفة إخوان الصفا عامة، وفلسفتهم الأخلاقية خاصة، فقد مزجوا بين بين مبادئه الإسلام وأصوله، ومبادئ وأصول الأديان السماوية الأخرى والديانات الوضعية، وآراء الفلاسفة والحكماء، ولعل الحوار الذي عرض له إخوان الصفا بين اليهودي والمجوسي ليدل على تلك الفكرة؛ لأنه ينتهي إلى مدح اعتقاد كل منهما وحرصه على تطبيق مذهبه واعتقاده.[54] وما دعوتهم الأتباع من إخوان الصفا ليصنعوا ما صنع المسيحيون واليهود من العبادة والتقرب إلى الله تعالى إلا دليلاً على صحة هذا الحكم.

54 انظر بطرس البستاني، مقدمة تحقيق رسائل إخوان الصفا، ص 9

المصادر والمراجع

1- أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الإمام المستور، الرسالة الجامعة تاج رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، تحقيق د. مصطفى غالب، ط دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981 م.

2- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، تحقيق بطرس البستاني، ط دار صادر، بيروت، بدون.

3- أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة د. أحمد لطفي السيد، ط دار الكتب المصرية، 1924م.

4- أفلاطون، محاورة فيدون، تحقيق د. عزت قرني، ط دار قباء، الثالثة، 2001م.

5- أفلوطين، التساعية الرابعة في النفس، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م.

6- جامعة الجامعة، تحقيق د. تامر عارف، ط منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون.

7- حنا أسعد فهمي، تاريخ الفلسفة، ط المطبعة اليوسفية، بدون.

8- د. سليمان دنيا، الحقيقة في نظر الغزالي ط دار المعارف، القاهرة، الثالثة، 1971م.

9- د. عبد المقصود عبد الغني، النظرية الخلقية في الإسلام، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1991م.

10- د. عزت قرني، مقدمة كتاب أفلاطون، فيدون في خلود النفس، ترجمة وتقديم وشرح د. عزت قرني، ط دار قباء، القاهرة، الثالثة، 2001م.

11- د. علي سامي النشار، ود. محمد علي أبو ريان، قراءات في الفلسفة، ط الدار القومية للطباعة والنشر، الأولى، 1967م.

12- د. علي عبد الواحد، المسئولية والخلود، ط مكتبة نهضة مصر، 1963 م.

13- د. عمر الدسوقي، إخوان الصفا، ط عيسى البابي الحلبي، القاهرة، بدون.

14- د. غسان علاء الدين، الأخلاق عند إخوان الصفا، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، بدون.

15- د. ماهر كامل، مبادئ الأخلاق، ط الأنجلو المصرية، 1958.

16- د. محمد الجليند، د. أبو اليزيد العجمي، دراسات في علم الأخلاق، ط دار الثقافة العربية، القاهرة، 1996/1995 م.

17- د. محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ط دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، الإسكندرية، الثانية، 1967م.

18- مصطفى عبده (د.)، فلسفة الأخلاق، ط مكتبة مدبولي، القاهرة، الثانية، 1999 م.

19- منصور على رجب (د.)، تأملات في فلسفة الأخلاق، ط مطبعة مخيمر، القاهرة، 1953م.

20- د. وجيه أحمد عبد الله، الوجود عند إخوان الصفا، ط دار المعرفة الجامعية، 1989م.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018

All rights reserved © 2018